حنان زوهرا
رواية: سنظل سعداء

رواية سنظل سعداء
للكاتبة حنان زوهرا

هذا العمل محمي بموجب قوانين الملكية الفكرية وحقوق الطبع والنشر

للتواصل مع الكاتبة

HANANZOHRA2000@GMAIL.COM

الإهداء:

إلى حبيبتي أمي، ونبض قلبي أخي محمد (حفظهم الله)

إهداء:

"سنظل سعداء رغم كيد الحاقدين، ستظل سعيدا فقط إن فهمت أن سعادتك قرارك" حنان زوهرا

تحت سماء الجنوب الجزائري في حي بسيط يطلّ منزل عادي بباب ونافذة، تضجّ حوله حركة السكان وصخب الأطفال، بينما يعمّ داخله سكون قد يوحي بأنه مهجور... لكن الحقيقة ليست كذلك فالبيت مأهول، صامد، رغم تفاصيله المتواضعة.

في الغرفة الوحيدة التي تأوي العائلة كلها، تملأ الحصائر الأرض بترتيب متواضع تظهر عليها علامات الزمن من تمزقات هنا وترقيعات هناك، أما الأغطية فهي تُفرش ليلًا وتُرتب مع الصباح في زاوية بسيطة من الغرفة تُسمى "المطبخ" تتراصّ بعض الأواني تلمع رغم قدمها... بجانبها موقد غاز صغير يعين الأم سعاد على تحضير الطعام، وهي امرأة جميلة ذات شعر أشقر طويل وعينين عسليتين تسحر الناظرين بابتسامتها لكنها تخفي في داخلها حزنًا دفينًا. على الرغم من بساطة البيت وظروفه القاسية كانت دائمًا ترى فيه "قصرها الصغير" معتقدة أن الأهم هو صحة أهلها وسلامتهم لكن العالم من حولها كان أشبه بمسرح

كبير، الجميع يرتدي أقنعة السعادة يخفي ألمًا وخوفًا لا يعرفه إلا هو.

لسعاد صبي اسمه شاكر وهو خلوق مؤدب، ولديه أختان كراميل وأريج كراميل عيناها سوداوان وشعرها أسود وذات وجه جميل تشبه حبة المارشميلو وأريج الأخت الصغرى يظهر للجميع أنها هي الأخت الكبرى بسبب شخصيتها القوية جدا وأخيرا الأب وليد مثال للرجل الطماع الذي يحب المال، فكان قلبه يشعر بقطعة معدنية وضعت في يد شيخ متسول على بعد ألاف الأميال فأين تتواجد المصالح والغش والخداع وجمع المال نجد وليد، والذي هو في عيون الناس ذلك الرجل الفقير المسكين الذي لا يمكنه حتى شراء رغيفات خبز لأولاده ولكن الواقع معاكس تماما فلديه من الأراضي والأموال ما يكفي لتعمير بلدة بأكملها ولكن ملابس وليد الممزقة تحول دون معرفة حقيقة ذلك المسخ البشري الحقير.

في مكان يضج بالناس تكاد تضيع فيه إذا لم تكن قد دخلته من قبل مكان حيث يجتمع الجميع ولكن يفترقون عند مجيء

موعد رحلتهم... قال رجل بطقم رسمي: سيدة كراميل إن طائرتك الخاصة جاهزة.

ردت كراميل وهي تبتسم: ألم أخبرك مرارا عزيزي رئيف ألا تناديني سيدتي؟ نادني كراميل فقط بدون أي رسمية والأن لنذهب... منذ عشر سنوات لم أزر الجزائر لقد اشتقت لكل شيء فيها، على الرغم من الحب الحقيقي الذي تلقيته من أهلي في دولة الأردن إلا أنني لطالما أحنو إلى سماع لهجتنا المحلية وأشتاق لتناول الكسكس وشرب الشاي الصحراوي.

أجابها رئيف: بشيء من مشاركة الشعور أنا أيضا مثلك مهما سافرت أشتاق دائما إلى مهد طفولتي إن طفولتنا هي الحقيقة الوحيدة النقية والتي لن نسمح لأحد أن يشوهها

قالت كراميل فجأة والابتسامة تعلو وجنتيها: ما رأيك يا رئيف أن أغير اسمي؟

استغرب رئيف مما قالته كراميل وقال: لما؟ اسمك جميل جدا لقد اختارته لك والدتك لماذا تريدين تغييره؟

ـ نظرت له وقالت معك حق اسمي جميل ولكن هل تتخيل إمرأة في العقد الثالث من العمر واسمها كراميل.

ـ رد رئيف: حتى إذا كنت في السبعين سيناسبك اسمك دائما فالعبرة ليست بالأسماء سيدتي إنما بالأفعال وتصرفات الناس فلا يهم اسمك أو خلفيتك بل ما يهم هو أنت فقط.

ـضحكت كراميل وتمتمت: حسنا اقتنعت نوعا ما، ونظرت له وقالت: أشكرك حقا لأنك وافقت على المجيء معي

ـ قال رئيف: وهل تعتقدين حقا أن أتركك تعودين إلى أرض الوطن بعد هذه السنوات لوحدك؟

ـ ابتسمت وقالت له: أنت الوحيد الذي أخبرته عن سبب عودتي إلى الجزائر، لولا ذلك الحلم الذي راودني لعدة مرات ما كنت لأعود إلى الوطن ولكن منظر تلك المرأة وهي عاجزة تتسول وبكاء طفل من الجوع إنه منظر مريع وبتكرر الأمر لم أعد أعتبر الحلم حلما بل بمثابة رسالة فربما حقا توجد امرأة تريد المساعدة.

ـ ربما ولن نكتشف ذلك إلا بوصولنا إلى وجهتنا وأتمنى فعلا أن يكون حلمك فعلا رسالة لعلك تكونين سببا في مساعدة شخصا ما، أتعلمين سيدتي عندما نساعد الناس بأي طريقة فنحن لا نساعد سوى أنفسنا فبمجرد رؤية السرور على وجه من ساعدت ينبض قلبك بحيوية من جديد.

صعدت كراميل ورئيف على متن الطائرة... رئيف ذلك الشاب الذي ظهر من العدم ودخل إلى حياة كراميل بشكل غريب فما أجمل الصدف التي تجمعنا بأناس رائعين وأصدقاء حقيقيين، استغرقت الرحلة حوالي خمس ساعات نامت فيهم كراميل أما رئيف فأكمل قراءة رواية الجريمة والعقاب لديوستوفيسكي، لطالما أحب رئيف القراءة والمطالعة فهو شغوف بكل ما هو جديد في عالم الكتب. لرئيف عينين سوداوين واسعتين ولحية مرتبة زادت وجهه جمالا فسبحان من زين وجوه الرجال باللحى، ذا بنية ضخمة نتيجة لممارسة الرياضة بشكل منتظم كما أنه يملك الحزام الأسود في رياضة الكاراتيه... وما هي إلا لحظات حتى نادت المضيفة اربطوا الأحزمة نحن على وشك النزول فأيقظ رئيف كراميل ونزلا من على الطائرة إلى تراب العاصمة الجزائر أخذ كل

من رئيف وكراميل نفسا عميقا أنعش رئتيهما ثم نظرت إلى رئيف والأن إلى الوجهة التالية إلى بوابة الجنوب الكبير ورقلة، نظر رئيف إلى كراميل وقال لنذهب فالجنوب بإنتظارنا وبالفعل صعدا على الطائرة المتوجهة إلى ورقلة لم ترد كراميل الصعود على متن طائرتها الخاصة وإنما أرادت الصعود على متن طائرة عادية حتى تلتقي بالأهل الطيبين المتوجهين إلى ورقلة فأرادت أن تسمع الأخبار عن تلك البلدة التي تركتها منذ سنوات.

وبعد وقت قصير وصلت الطائرة إلى الوجهة ووصلت كراميل إلى وجهتها، فذهبت مع رئيف لتناول الطعام وما هي إلا لحظات حتى جاءت رسالة على هاتف كراميل الذي كان مع رئيف وما إن قرأ الرسالة صدم، فقالت كراميل: ما بك مصدوم؟ وكأنك رأيت رجل ثلج يمشي وسط هذا الحر، فقال لها وأنت لا تعلمين ماذا سيصيبك؟ شعرت كراميل بشك غريب وماذا سيحصل لي؟ قال لها إنها رسالة من زوجك إياد وكتب فيها: إذا لم تعودي إلى الأردن خلال أربعة وعشرين ساعة سيطلب من الأمن تولي الأمر، ردت كراميل وضحكتها ملأت أرجاء المطعم لا تهتم لما يقوله إياد لن يفعل شيئا يضرني به، ولكن قاطعها رئيف قائلا: ولكن معه

حق لو أنني كنت مكانه لطلبت منك العودة، فنظرت كراميل إلى رئيف نظرة واثقة الحمد لله أنك لست في مكانه فلو كنت تفكر مثلما يفكر لكنت الآن أتناول الطعام لوحدي وأنهت كلامها بإبتسامة ساحرة، لكن رئيف قال لها: لكن كان عليك الإنصات له فردت: لقد تعلمت من سنوات حياتي أنني إذا أردت شيء فسأفعل المستحيل لتحقيقه وأنا أريد حقا اللحاق بحلمي ومعرفة لما أرى تلك المرأة مرارا وتكرارا في أحلامي، ليرد رئيف وأنا معك ولن أتركك ودعي إياد يستدعي حتى الأنتربول طالما أننا معا فسنحل لغز ذلك الحلم.

بإسمك فقالت: اسمي أمل، فردت عليها : اسمك جميل وأنا كراميل وهذا رئيف، ثم قال رئيف بأنهم سيقومون بإيصال أمل إلى منزلها ليطمئنا عليها ووافقت... فصعدا على متن سيارة أجرة وأوصلاها إلى منزلها بخير، وقالت لها كراميل: هذه بطاقتي اتصلي بي إذا احتجت شيئا... كما أنني غالبا ما أغيب عن المنزل لهذا إذا كنت تريدين العمل ما رأيك أن تعملي في منزلنا؟ تطبخين لنا الأكل ولا تقلقي لن نقوم بإتعابك معنا، وافقت أمل على الفور وفرحت كثيرا بالخبر.

كانت طفولة كراميل وإخوتها صعبة جدا فوليد الإنسان الوحشي قد ضيق سبل العيش على الأطفال وسعاد، فكان يمنعهم حتى من الضحك فأصبحوا بحضوره جمادا أصم... ولكن عند غيابه ها هي أريج تغني بصوت عالي وشاكر يقوي في عضلات يديه بممارسة الضغط وكراميل تمارس هوايتها المفضلة مطالعة القصص والروايات وسعاد تنظف منزلها، فمهما حاول الناس منعك من الحياة والضحك... إضحك في داخلك بصوت عالي وتعلم عيش الحياة كما تحب وتريد لا كما أرادوا.

وكبر الأطفال وأصبح شاكر شابا شهما ودخل إلى الجامعة ودرس تخصص التجارة وتحصل على شهادة الماستر، لكن حاله كحال العديد من الشباب المتخرجين لا عمل متوفر يضمن الحياة الكريمة له... وأريج طالبة في قسم الكيمياء وكراميل درست التخصص الذي لطالما شعرت بالفضول حوله علم النفس فكيف يمكن للإنسان أن يكون شريرا وأن يتمتع بإيذاء الناس؟ وبالمقابل هل الخير هو الفطرة المشتركة بين كل الناس والظروف هي من تقوي بذرة الخير أو تقضي عليها أم ماذا بالضبط؟ وسعاد لازالت كما هي لطالما كانت امرأة مضحية وأم قوية، في وقت الدراسة

كانت المنحة الجامعية هي الداعم لسعاد وأولادها وفي وقت الصيف تمر أيام لا يجدون فيها ما يأكلون لسبب واحد هو تخلي الأب والزوج عن مسؤوليته... فماذا يساوي الرجل بلا تحمل مسؤولية بكل تأكيد لا يساوي شيئا، وبمرور الأيام تعلمت البنات أن يعتمدن على أنفسهن فهن يعملن بدوام جزئي في أحد المطاعم وأحيانا في متاجر وشاكر كان أحيانا يعمل في البناء وأحيانا أخرى يساعد في نقل البضائع وهكذا مرت الأيام.

في إحدى الندوات في قسم علم النفس قدمت كراميل محاضرة مفصلة تحدثت فيها عن الفطرة الإنسانية بين الخير والشر وكان القاءها للمحاضرة ممتازا و تفاعل معها الطلبة والأساتذة بشكل لافت يدعو للفخر، وهناك التقت بإياد حيث تناقش معها في موضوع المحاضرة وبعد إنتهاء الندوة تقدم منها وأبدى إعجابه بشخصيتها القوية، وتكررت اللقاءات إلى أن أصبح ذلك الغريب قريب... إياد شاب طويل بشعر أسود وعينين سوداوين، وهو أردني الجنسية كما أنه أستاذ محاضر في الجامعة الأردنية في قسم علم النفس... كان لإختلاف الثقافة سبب في تبادل العديد من الأفكار وإجراء العديد من الدراسات والمقارنات.

التقى إياد وكراميل في إحدى المطاعم وهناك قال لها: لطالما كنت أتساءل كيف سأقع في الحب؟ ومن هي الفتاة التي سأحبها؟ إلى أن التقيت بك علمت حينها أن الحب ليس مجموعة من القواعد تطبقها لتجد من تحب، بل الحب قدر لأن القلب هو من يتولى الأمر... لهذا بدون إطالة كراميل هل تقبلين الزواج بي؟

نظرت كراميل إلى إياد قليلا ثم قالت: معك حق الحب لا يستأذن القلب قبل الدخول إليه... أقدر فعلا عرضك للزواج علي لكن أنا أعتذر لا يمكنني الزواج منك لن أستطيع ترك والدتي وأختي والذهاب معك، تأمل إياد كراميل بحب وقال: وأنا لست ذلك الرجل الذي يبعد حبيبته عن من تحب كما أن الحب ليس تضحية والحب الحقيقي لا يجعلك تتركين أحلامك وكل ما تحبين... إنما الحب هو دعم ومساعدة وإحترام... فالحب نعمة وليس نقمة، وبما أن رفضك لي بسبب البعد الجغرافي سأمحي ذلك البعد الجغرافي وأشتري منزلا أمام منزلك وهكذا لست بحاجة إلى التخلي على من تحبين، فرحت كراميل كثيرا وقالت بحماس: حسنا، إذن سيد إياد أنا موافقة على الزواج منك.

قال رئيف لكراميل وهو يشعر بالشفقة: للأسف لا زلنا في عصر يستضعف فيه الرجل المرأة ويقلل من احترامها ردت عليه كراميل بحزن قائلة: أنا حقا خائفة على أمل أخشى أنها تورطت مع عصابة خطيرة، استغرب من كلامها وقال لها أخبريني ما قصة أمل... بعدما أخبرته بقصة أمل قال لها: أعتقد أن علينا التحري أيضا عن هذا الرجل ربما يدير خلية للأعمال الغير شرعية ويستغل الفتيات.

- وافقته كراميل الرأي وقالت معك حق ولكن من أين سنبدأ البحث فقاطعها رئيف وقال: سأخبرك لاحقا الأن علينا العودة إلى المنزل لأنني جائع جدا.

- قالت كراميل وهي تضحك: كالعادة أنت دائما جائع أنا حقا محتارة لما لا يظهر عليك كثرة تناول الطعام فوزنك مثالي هيا قل لي؟

فرد رئيف وهو يختال : إن السبب بسيط جدا هو التدريبات القاسية التي أمارسها، فجسمي في حالة نشاط وحرق دائم للسعرات الحرارية لهذا أنا دائما جائع... فالأكل الذي آكله يتحول

إلى طاقة أو عضلات ولست مثلك آكل فقط انظري لنفسك كم أنت سمينة؟

نظرت كراميل إلى رئيف وهي تبتسم وقالت: أنا لست سمينة أنا فقط كالمارشميلو، ضحك رئيف وقال: إذن يا قطعة المارشميلو هيا إلى البيت.

بعد تناول الطعام تواصل رئيف مع أحد معارفه وتقصى الوضع المريب لعباس وصدم عندما عرف أن عباس مشبوه وأنه يمتلك العديد من المستودعات يخزن فيها السيارات المستوردة، وعلى الرغم أن لديه رخصة إلا أنه لطالما كان محل شك في نقل الممنوعات ولكن الشرطة تخلت عن مراقبته لأنه وبعد سنوات من المراقبة لم يثبت عليه شيء، كان توقع كراميل ورئيف في محله فعباس رجل مشبوه.

في اليوم الموالي خرجت كراميل من المنزل وأخذت معها الدب المحشو الذي اشترته لمجد انتظرت خروج مجد إلى الشارع لكنه لم يخرج، وبقيت تنتظر بلا جدوى إلى أن سمعت الجارة تتحدث هي ورفيقتها: مسكينة جميلة طفلها مجد مريض وأخذته إلى المشفى قاطعتهم كراميل وقالت: عذرا إلى أي مشفى ذهبت؟

فقالت إحداهن: إلى المستشفى الرئيسي، ومن ثم ذهبت كراميل إلى رئيف وأخبرته بشأن مجد وذهبا معا إلى المستشفى دخلا هناك وسألا الممرضات إلى أن عثروا على مجد ووالدته ذهبت كراميل بسرعة تطمئن على صحة مجد فرأت منظرا لم تتوقع رؤيته وجه مجد كله متورم ويده مكسورة لف حولها جبيرة وكان نائما كالملاك وكان وجه جميلة أيضا متورم وأخفته تحت الستار الشرعي ولكن عندما غافلتها كراميل بالدخول المفاجئ لمحت التورم فعدلت جميلة من ستارها حتى لا تنتبه لها، ولكن كراميل قالت لها: هل عباس هو من فعل ذلك؟ ردت جميلة: كلا ليس هو، كان مجد يلعب وسقط من على السلالم، والأمر لا يستدعي خبيرة في علم النفس لكشف كذب جميلة فكان كلامها المتقطع وحركات عيناها بين الشمال واليمين توحي بالكذب، لم تتمالك جميلة نفسها وقالت بل عباس هو من فعلها وسأخبر الشرطة فليكمل حياته في السجن كيف يمكنك العيش مع إنسان يؤذي فلذة كبدك؟ حاول رئيف السيطرة على غضب كراميل وتهدئتها وما زاد الطين بلة كان حضور عباس فدخلا في صراع حاد وبدأ عباس بالصراخ وقال: ماذا تفعلين هنا؟ ألم أطلب منكم الابتعاد عن عائلتي؟

ردت كراميل بصوت عالي عن أي عائلة تتحدث هل عن طفلك الذي شوهت ملامحه البريئة أم عن زوجتك التي دفنتها في الحياة؟

اقترب عباس من كراميل محاولا صفعها لكن رئيف أوقفه ممسكا بيده وما هي إلا حركة خفيفة حتى جعل عباس يعاني من ألم شديد، نعم لقد كسر يده ونظر إلى عباس وقال: ليس لديك الحق في أن تمد يدك على أي شخص خاصة إذا كان طفلا أو امرأة... أنت لست رجلا لم أرى في حياتي من هو أحقر منك أنت عار على الرجال، بقي عباس يصارع ألمه ولم يحاول نداء شرطة المستشفى لأنه يعلم أن بتدخل الشرطة سيتورط لأن أمره سيكشف، أمسك رئيف يد كراميل وقال لها هيا دعينا نغادر وأنت يا جميلة لن ينقذك أحد ما لم تحاولي إنقاذ نفسك أولا، لا تكوني أنانية وفكري في مصلحة طفلك أولا أخاك هو من اتخذ قرار

التوقيع ووثق بعباس ولكن ما ذنب مجد تخيلي لو أنك خسرت طفلك اليوم ماذا ستفعلين؟ بقيت جميلة صامتة والدموع تنهمر من عينيها، لكن عباس نهض بصعوبة من الأرض وقال: أنت لا تعلم من أنا؟ إنني أسوأ كوابيسك سأنهي أمرك وأتخلص منك. رد رئيف بغضب: افعل كل ما في وسعك لست خائفا من جرذ يضرب امرأة وطفلا صغير أنت مكانك في السجن، ثم غادر رئيف وكراميل... وكان رئيف غاضبا جدا لكن كراميل حاولت تهدئته وقالت لا تقلق سنحرر مجد من قبضة ذلك الوحش ولن نعود إلى الوطن حتى نحقق ذلك أنا أعدك.

بعد يومان من مشكلة عباس اتصلت أمل بكراميل وطلبت لقاءها من أجل العمل، أرسلت كراميل عنوان المنزل لها من خلال رسالة نصية وبعد ساعة وصلت أمل وكانت كراميل قد حضرت الشاي والكعك وجلستا في غرفة الضيوف واتفقتا بشأن العمل، ثم قالت كراميل: إياك وفتح الباب في غيابي أنا ورئيف فنحن لدينا مفاتيح خاصة بنا وقد أوصيتك لأنه لدينا بعض المشاكل مع الجار... وبعد الاتفاق على كل شيء بدأت أمل في العمل والتنظيف، ثم قالت كراميل: إن رئيف غادر المنزل باكرا ولم يعد

كما أن هاتفه مغلق أنا حقا خائفة عليه... وبعد لحظات اتصل رئيف فردت كراميل أين أنت؟ فقال لها المتصل: مرحبا أنا شرطي المشفى إن صاحب هذا الهاتف في حالة حرجة، انهارت كراميل وبدأت بالبكاء ثم غادرت المنزل هي وأمل وذهبتا إلى المستشفى كانت تركض بين أقسام المشفى بشكل جنوني ثم دلها الشرطي على مكانه، وكان رئيف بحاجة إلى نقل الدم وزمرة دمه نادرة، فقالت الممرضة إن لم نجد متبرعا سنفقده ولكن كراميل ردت: أنا أتبرع له إن زمرة دمينا متطابقة فكلانا AB- ارتاحت الممرضة وقالت: حسنا هيا الحقي بي ودخلت كراميل إلى الغرفة وأخذوا منها الدم وبقيت تبكي أمام باب غرفة العمليات بشكل يوجع القلب وبعد ساعتين خرجت الطبيبة وقالت الحمد لله إنه بخير لولا حضورك في الوقت المناسب وتبرعك له لفقد حياته، فرحت كراميل وعانقت الطبيبة وأمل ومن ثم طلبت منها لقائه وبعد لحظات دخلت إلى الغرفة رأته ممدا على السرير والأجهزة ملتفة حوله وبقيت واقفة تبكي وبعد لحظات استيقظ رئيف وقال: تعالي إلى هنا لا تبكي أنا بخير، كما أن الممرضة أخبرتني أنك تبرعت لي بالدم وأخيرا أصبحنا متساوين الآن لا يدين أحدنا للآخر،

ابتسمت كراميل وقالت: نعم وأخيرا سددت ديني، لهذا على كلينا العيش بأمان حتى لا ندين لبعضنا مجددا فقال لها رئيف: أتذكر ذلك اليوم حينما كنت تقطعين الشارع... عمرك حينها كان عشر سنوات كنت ترتدين فستانا بنفسجيا وكان شعرك مسدولا وبسبب تهورك لم تلاحظي السيارة المسرعة... وأكملت كراميل وعيناها مليئة بالدموع وما هي إلا لحظات حتى رميت بنفسك أمام الشاحنة وسحبتني من الطريق ومن يومها أصبحنا أصدقاء، وبعد قليل دخلت الطبيبة وطلبت من كراميل الخروج من الغرفة ليرتاح رئيف قليلا.

خرجت كراميل من الغرفة وذهبت إلى حديقة المستشفى وطلبت من أمل البقاء أمام باب غرفة رئيف تحسبا لأي طارئ، من ثم اتصلت بالشخص الوحيد الذي لطالما كان معها ولسبب أو لآخر هو غائب اليوم عنها، اتصلت بإياد حبيبها الأول وزوجها، أجاب إياد على الهاتف وقال بلهفة محب: مرحبا كراميل كيف حالك؟

ردت: أنا بخير ولكن اشتقت لكم كثيرا.

قال إياد: أنا أيضا اشتقت إليك، قريبا سأنهي عملي وألحق بك إلى الجزائر.

ردت كراميل بيأس: لا داعي للمجيء سأعود بعد يومان لقد ندمت على مجيئي وعلى لحاقي بحلم وهمي، للحظة كدت أن أخسر شخصا عزيزا، قاطعها إياد بنبرة حادة: عرفت أن أمرا ما حدث فصوتك يبدو حزينا ومتعبا، أخبريني ماذا جرى وسأساعدك؟ تمالكت كراميل نفسها وقالت بمرح لم يحدث شيء لا تقلق لكن أخبرني كيف حال التوأم ووالدتي؟ ابتسم إياد وقال جميعهم بخير ولكنهم اشتاقوا لك... وبعد لحظات جاءت أمل وطلبت من كراميل العودة إلى غرفة رئيف فقالت كراميل لإياد: سأغلق الخط الأن اعتني بنفسك أحبك.

فرد إياد: وأنا أحبك كثيرا اهتمي بصحتك.

وجدت كراميل رجال الشرطة مع رئيف وكان رئيف قد أخبرهم عن خلافه مع عباس وأنه يشك فيه، كما قدمت كراميل صوتا مسجلا فيه تهديد صريح من عباس بقتل رئيف وبعدما أخذ الشرطة إفادتهما وغادروا، نظر رئيف إلى كراميل وقال: كم أنت ذكية لم ألاحظ أنك كنت تسجلين الشجار ذلك اليوم، فردت: نعم كنت أود استخدامه ضده كدليل لإثبات ضربه لمجد لكن يبدو أنني سجلته ليصبح دليل إدانة عباس بمحاولة قتلك، بعد أيام غادر

رئيف المستشفى وعاد إلى المنزل مع كراميل وهناك وجدا جميلة في انتظارهما تتوسل أن يسحب رئيف الشكوى ضد عباس لأنه هددها بسجن أخيها، لكن رئيف بقي على موقفه قائلا صحة مجد هي الأهم ولا تقلقي إذا تورط أخاك سأوكل له محامي ممتاز ويتخلص من القضية... اطمأنت جميلة وتشكرت رئيف وعادت إلى بيتها، وقررت كراميل إقامة حفلة صغيرة لتشعر مجد بالفرح ودعت كذلك الشيخ الذي يبيع الشعير وأمل واجتمعوا جميعا في جو عائلي فحضرت كراميل الكسكس الجزائري وزينت المائدة بحلويات شهية وعصائر طازجة واشترت العديد من الهدايا لمجد متمثلة في ألعاب تنمي مهاراته وكراريس تعليمية ودببة محشوة... وقدمت لأمل منزلا جميلا يحميها ووالدتها من الوحوش البشرية كما توسطت لها في وظيفة محترمة تمكنها من العيش بكرامة، وأما الشيخ أهدته مصحفا من الحجم الكبير ليتمكن من قراءته، وقالت لوالدة مجد: سأتكفل بتعليم مجد وتحسين مهاراته في مركز خاص، لقد سجلته لم يبقى سوى التحاقه بالمركز وهم أناس محترمون سيكون صغيرنا معهم بأمان.

فرح الجميع بالهدايا خاصة جميلة فهي لم تشعر من قبل بحب أحدهم لها ولا لطفلها وأمل كانت فرحة كثيرا وأما الشيخ قال لكراميل: إذا احتجت شيئا يا بنيتي أخبريني فقبلت رأسه وقالت له: كن بخير هذا ما أريده فقط، لأنني ورئيف سنعود إلى الأردن، احتار رئيف وقال: لما لم ننهي ما جئنا من أجله؟ قالت: ألا ترى نحن بالفعل التقينا بأبطال حلمي جمعتنا بهم الصدف بشكل غريب سبحان الله كما أنني ماكنت لأسامح نفسي لو أن شيئا ما أصابك.

مر اليوم بجوه العائلي الفرح وفي اليوم الموالي بدأت كراميل في تحضير حقيبتها وحقيبة رئيف وكان رئيف قد غادر لشراء بعض الحاجيات ومن ثم سمعت دقا قويا على الباب وما إن فتحت حتى إندفع رجال الشرطة داخل المنزل لم تفهم كراميل الذي يحدث معها وقالت بصوت ثابت ماذا يجري من حقي أن أعرف، نظر إليها الشرطي وتقدم نحوها وأعطاها وثيقة تثبت أن لهم الإذن في التفتيش... وبدأوا يبحثون في كل أركان المنزل، لكن كراميل لم تصمت وبقيت تقول لهم: مابكم؟ لما تفتشون المنزل هكذا وكأنني أخفي شيئا؟ فقاطعها الشرطي وقال: أين رفيقك في السكن؟ أنتم متهمون في المتاجرة بالمخدرات، وماهي إلا لحظات

حتى جاء الشرطي من القبو وقال سيدي لقد عثرنا على كم هائل من المخدرات، وهنا كانت الصدمة بالنسبة لكراميل وعرفت أن عباس انتقم منهم أخذ رجال الشرطة كراميل إلى المخفر للتحقيق معها ووضعوا رئيف في قائمة المطلوبين.

وافقت كراميل على الزواج من إياد وأخبرت والدتها بالأمر لكن والدها رفض رفضا قاطعا وبعد محاولات من إياد وكراميل لجعله يوافق حصل ما لم يكن في حسبان وليد، وجدت الشرطة في إحدى مستودعاته على كمية كبيرة جدا من الممنوعات والمخدرات وكان هذا كفيلا بسجنه مدى الحياة، وعلى الرغم من الظرف الصعب الذي كان فيها إلا أنه حمل سعاد المسؤولية قائلا أنها هي من بلغت عنه، ولكن لا يهم من بلغ عنه المهم أنه نال جزاءه نتيجة لظلمه الكبير لعائلته وللناس من حوله ولأنه كان رجلا طماعا قام ببيع جميع أملاكه حتى لا يترك لأولاده شيء وبالفعل بقيت سعاد وأولادها في الخارج لكن خطوة واحدة من رجل شهم غيرت الموازين فتحدث إياد مع سعاد وقدم لها منزلا كبيرا، لكن سعاد قالت له: إذا لم تكن لديك مشكلة هل من الممكن بعد زواجك من كراميل أن نرحل جميعا من هنا إلى الأردن؟ لا أريد أن

تربطني بعد الآن الذكريات السيئة بهذا المكان أريد بدأ حياة جديدة، وبالفعل تزوج إياد وكراميل وانتقلا فورا إلى الأردن... وهناك ضمن منصب شغل لشاكر في شركة والده وحصلت أريج على عمل في أحد مصانع الأدوية وهكذا تحسنت حياتهم بعيدا عن عنصر القلق الذي دمر حياتهم.

كانت كراميل في وضع صعب جدا فهي فعلا قد تورطت بأمر من الممكن أن تقضي حياتها كلها في السجن بسببه، ويبدو أن رئيف كان في الحي عند مداهمة الشرطة للمنزل ولم يقترب حتى

لا يكشف أمره فبقاءه في السجن لن ينفع كراميل بشيء بل عليه البقاء في الخارج ليصل إلى حل ما، واتصل بأمل وطلب منها الحضور إلى مطعم في مكان منعزل نوعا ما وأخبرها القصة قائلا: لقد عرفت أن عباس سيفعل شيئا ولكن لم أتوقع هذا، لقد غادرت المنزل اليوم لأن صديقي أخبرني بأنه سيتم تسليم شحنة من السلاح في أحد المنازل المهجورة وأن الشاري هو عباس وعندما ذهبت وجدت بالفعل أن هناك عملية متاجرة بالسلاح فاتصلت بالشرطة وبلغت عن العصابة، ظننت أنني انتصرت على عباس لكنه كان أذكى مني وسبقني بخطوة والآن أنا فعلا محتار كيف تمكن من وضع المخدرات في المنزل؟ فقالت أمل وهي تحاول التفكير: ربما تسلل أحد رجاله ليلا ولم تنتبهوا.

رد رئيف: ربما والأن أريد منك الاتصال بزوج كراميل لقد تخلصت من هاتفي حتى لا يكشف أمري، لهذا لن أستطيع الاتصال

اتصلي أنت وأخبريه أن كراميل تورطت في قضية صعبة... اتصلت أمل بإياد وقالت له القصة كاملة فقال لها: عرفت أن هناك شيء من نبرة صوتها، حسنا سأوكل لها محامي كفء وسأعود إلى الجزائر أخبريها ألا تقلق، وماهي إلا ساعات حتى وصل المحامي إلى مركز الشرطة وطلب رؤية كراميل.

كان المحامي جالسا على الكرسي ينتظر قدوم كراميل وبعد لحظات أتت كراميل بوجه شاحب متعب ومثقل بالهموم، فقال المحامي: مرحبا كراميل كيف حالك؟ ردت كراميل ووجها بلا ملامح: مرحبا... أعتقد أنني بخير، من أخبركم أنني في الحجز؟ قال لها المحامي: لقد اتصلت فتاة بإياد وقالت إنها تعمل عندك وأخبرت زوجك كل القصة، فنظرت للمحامي وقالت أعتقد أن رئيف هو من أخبرها بأن تتصل به...

نظر المحامي إلى كراميل بوجه جاد وقال لها: وأين هو رئيف هل ورطك واختفى؟ ردت كراميل بغضب لا تقل كلاما كهذا، بل نحن تورطنا بسبب رجل حقير اسمه عباس.

فقال المحامي: إن إياد غاضب جدا من رئيف لهذا لنتمنى ألا يلتقيا في هذه الفترة... شردت كراميل قليلا وقالت: لا تقلق أعتقد أن رئيف يبحث عن حل الأن، وأنت كذلك ابحث عن خلفية عباس وعد إلى المنزل وفتش فيه قليلا لعلك تجد دليلا وينتهي كل هذا.

ظل رئيف يتواصل مع معارفه لعله يجد مخرجا أو دليلا ليثبت به براءة كراميل ولكن للأسف لا فائدة... وبعد بحثه المستمر لأيام عاد إلى الحي ووجد نفسه أمام منزل الشيخ، دق الباب دقا خفيفا ثم تراجع إلى الخلف وهم بالرحيل لكن الشيخ فتح الباب وقال: إلى أين يا ولدي؟ تفضل أدخل إلى المنزل لنشرب بعض القهوة، وتقدم رئيف بخطى متثاقلة وعانق الشيخ وبدأ بالبكاء عانقه الشيخ بشدة وقال: هيا أدخل وعندما دخلا إلى المنزل وجد رئيف المنزل مرتبا بشكل لا يصدق استغرب رئيف وقال له: هل يسكن معك أحد؟

فرد الشيخ: لا، ولكن هناك من يساعدني في ترتيب البيت أنت تعلم أنا شيخ كبير لا أستطيع حتى إحضار كوب ماء لنفسي.

ابتسم له رئيف وقال: أنت حقا رجل طيب وأعتذر لأنني جئت بلا موعد أنا حقا متوتر ولا أعلم ماذا أفعل.

فقال الشيخ: إذن كيف حال كراميل؟ وهل هناك تطور في قضيتها؟ فرد رئيف مستغربا: وكيف عرفت؟ ولكن نعم يا لسذاجتي خبر كهذا أعتقد أن كل البلدة سمعت عنه، شخصان يتاجران بالممنوعات في وسط المدينة إحداهما سيدة وقد ألقي عليها القبض والثاني في حالة فرار أعتقد أنهم نشروا صوري أيضا.

فقال الشيخ: لست بحاجة للسماع من عند أهل الحي لأعرف ماذا يجري هنا أنا أعرف كل ما يحدث، فأنا لدي العديد من العيون

ابتسم رئيف وقال: أنت تضحكني حتى وأنا في هذه المحنة

ورد الشيخ بثقة إذن هل تريد كراميل مني أي شيء؟ فقال له رئيف أنت فعلا غريب، لا أظن أن كراميل تريد منك شيء إنها فقط تتمنى أن تكون بخير، ابتسم الشيخ وقال: حسنا كما تريد...

وبعد لحظات من الصمت نظر رئيف إلى الشيخ وقال:: ماذا لو قلت إنها بحاجة إلى المساعدة وبحاجة إلى دليل يثبت براءتها من القضية.

ضحك الشيخ كثيرا وقال: وأنا سأقول لك بأنني قد انتظرت قدومك وقلت إذا لم تأتي في ظرف يومين سأذهب بنفسي إلى الشرطة... استغرب رئيف وقال: ولكن ماذا تقول؟

رد عليه الشيخ قائلا: أنا لست مجرد شيخ لا يعي ما يقوله لهذا لا تقلق ستخرج كراميل من الحجز اليوم، ونهض وأعطى ملفا لرئيف وقال له: هذا الملف يثبت أن الملكية الأولى للمنزل كانت لعباس ومن ثم باعه... ليصبح لكم لاحقا لكن شكل المنزل البنائي غريب فهو ليس منزلا عاديا فمن خلال منزل عباس الذي فيه باب خفي يستطيع العبور من خلاله إلى منزلكم عن طريق باب آخر في القبو الخاص بكم فالمنزل الذي أنتم فيه يحتوى على طابق أرضي ضخم فيه العديد من الغرف كان عباس يخفي فيها الأسلحة والمخدرات وباعه حتى لا يكشف أمره إذا ما تورط يوما، فالمنزل ليس بإسمه الآن وبسبب خلافه معكم أراد توريطكم ولهذا اتفق مع أخ زوجته جميلة عليكم، وأيضا هذا الشاب أخ جميلة هو ليس

بريئا كما تظن جميلة فلا وجود لمستند وقعه أصلا إنما هو فخ حقير وقعت فيه جميلة ليتمكن عباس من الزواج بها بعد رفضها له، كما أنك تجد في هذا الملف العديد من الفيديوهات التي تثبت إدخال عباس المخدرات من باب منزله كما أنها نفس الصناديق التي عثر عليها عندكم.

صدم رئيف وقال هل هذا حقيقي كيف؟ يا له من رجل خبيث أنا لا أصدق وأخيرا ستتحرر كراميل ولكن أخبرني كيف عرفت؟ أنت لست رجلا عاديا؟

رد الشيخ وقال: استمع لي يا بني لا يهم من أنا أو من أنت لطالما أننا نساعد بعضنا كلما احتاج أحدنا المساعدة، صحيح أن الشر كثير ولكن الخير وأهله أكثر لهذا يا بني إذهب للمخفر الآن وقدم الدليل وسلم نفسك حتى لا تعتبر هاربا من القانون... قبل رئيف رأس الشيخ وقال أنا لن أنسى معروفك هذا أبدا.

لطالما كان هذا الشيخ شيخا في نظر الجميع لكن ما عاشه يفتت الصخر لقسوته، كان فاضل شابا مفعم بالحيوية والنشاط لكن لسبب أو لآخر وجد نفسه عضوا في عصابة لبيع المخدرات وبعد العديد من السنوات تسلم هو رئاسة العصابة فأصبحت كل

عمليات المتاجرة بهذا السم تتم عن طريقه... وفي أحد الأيام اختطفت عصابة أخرى زوجته وعندما حاول استرجاعها ووسط الاشتباكات قتلت زوجته لهذا حمله أولاده مسؤولية قتلها وتخلى عنه كل أطفاله فبقي وحيدا وثروته الهائلة مكنت ضمان حياة راقية لأولاده لكنه حرم منهم فتخلى لاحقا عن عمله هذا ولكن كل الأمور لا تمر إلا بموافقته هو، والأمور التي تحدث دون علمه يتحمل نتائجها أصحابها كما فعل عباس لهذا أراد الشيخ حياة هادئة فابتاع لنفسه منزلا صغيرا في حي عادي وادعا أنه يبيع الشعير وهكذا مرت به الأيام ولا أحد يعرف سره.

ذهب رئيف بسرعة كبيرة إلى المخفر وفي الطريق تواصل مع المحامي وأخبره بالمستجدات، ففرح المحامي وقال: لقد نفذتم من القضية على ما أعتقد، دخل رئيف إلى المخفر وسلم نفسه وأعطى كل الأدلة إلى المحقق وما هي الا ساعات حتى خرجت كراميل وبقي رئيف للتحقيق معه خاصة وأنه كان في حالة فرار... عند خروج كراميل من قسم الشرطة وجدت إياد في انتظارها، ركض مسرعا نحوها وقال تركتك لوحدك أسبوعان فتورطت مع العصابة ودخلت إلى السجن لن أتركك لوحدك أبدا،

عانقته كراميل أيضا وقالت: أخبرني المحامي أن أمي عادت أيضا, فقال لها ليس أمك فقط بل حتى شاكر وأريج قالوا بما أنك هنا لما لا يعودوا للوطن كرحلة قصيرة ليمسحوا عن قلوبهم عناء الاشتياق، ذهبت كراميل واياد إلى المنزل وكان اللقاء حميميا جدا وسط جو عائلي رائع فقالت سعاد: يا ابنتي أنت أم لطفلين لا تتهوري مرة أخرى وتورطي نفسك في المشاكل، ردت كراميل: حسنا يا أمي أعدك أن أكون مسالمة وأساعد كل الناس.. ضحك الجميع ثم سألت أريج وأين هو رئيف هل خرج؟ فقال اياد سيخرج غدا والحمد لله قد ثبتت ادانة عباس وبالإضافة إلى العديد من القضايا التي هو متورط بها كبيع الأسلحة والاتجار بالنساء سيحكم عليه بالمؤبد فرحت كراميل وقالت: على الأقل تعيش جميلة براحة هي وطفلها بعيد عن مشاكله.

حل الصباح المنعش واجتمعت العائلة في المنزل فرحين فحضرت سعاد العديد من المأكولات وكذلك أريج ساعدتها وذهبت كراميل وزوجها وشاكر إلى قسم الشرطة لإحضار رئيف وما هي إلا لحظات حتى خرج وهو يبتسم وتقدم نحوهم وصافح إياد وشاكر ورحب بكراميل وقال لها: وأخيرا نحن أحرار... وفي ثانية

واحدة تهجم رجل ملثم على رئيف وحاول طعنه وبسبب المشادات بينهم تعرضت كراميل للطعن فسال دمها على الأرض وأصيب الجميع بصدمة كبيرة، واتصل رجال الشرطة بالإسعاف لنقلها إلى المستشفى وعند وصولهم قال الطبيب بأنها في حالة حرجة فقد أصيب كبدها ومن الصعب أن نجد لها متبرعا فاندفع اياد وقال: أنا أتبرع لها, وقال شاكر: أنا أخوها سأكون مطابقا لها... ولكن رئيف قال بصوت عالي: أنا سأتبرع لها خذوا كبدي كله لها، وفجأة تقدم اياد نحوه ولكمه لكمة قوية وقال له: من أنت حتى تتبرع لها؟ لطالما رفضت تواجدك حولها ولكن لم أخبرها لأنني أعلم مكانتك عندها لقد كرهت من تصرفاتك لو أنك رفضت العودة معها إلى الجزائر لما حصل كل هذا والأن ارحل ولكن رئيف قال: له لن أرحل ما لم تطلب مني هي ذلك، وتهجم عليه إياد بغضب سأقتلك... لكن شاكر أوقفهما وقال حالة أختي في خطر وأنتم كالأطفال تتشاجرون... وبعد أن أجرى الطبيب اختبار المطابقة وجد كبد رئيف مطابقة فتبرع لها، وبعد ساعات استيقظت كراميل ووجدت عائلتها كلها حولها والدتها اخوتها وزوجها فقالت بصعوبة: لا تقلقوا أنا بخير، ثم نظرت حولها وقالت أين هو

رئيف؟ تمالك اياد نفسه بصعوبة وقالت والدتها: لقد تبرع لك بالكبد وهو في الغرفة الأخرى، وبعد لحظات دق رئيف باب الغرفة ودخل وهو يتألم وقال لها: هل أنت بخير؟ فقالت له: أنا بخير ولكن لما علي أن أكون دائما مدينة لك؟ ثم أكملت قولها: رئيف لقد تعبت من الكذب لنخبرهم الحقيقة... فتقدم إياد من كراميل بوجه شاحب يملأه الخوف وقال: هل ستتركينني من أجل هذا الرجل؟ وقالت والدتها: ماذا تقولين أنت متزوجة؟ ثم ضحكت كراميل ورئيف بصوت عالي فتألما كثيرا بسبب الضحك، وأمسكت يد إياد بقوة ومسحت عليها لتطمئنه وقالت: أمي رئيف هو أخي البيولوجي، أخي من أبي... صعق الجميع من الخبر وقال إياد هل رئيف أخاك حقا؟ وقالت لها والدتها كيف ذلك؟ فردت كراميل وهي تنظر لوالدتها بحب: قبل زواج أبي منك كان قد تزوج والدة رئيف لكنه انفصل عنها بسرعة وترك رئيف فهو لم يسجله باسمه حتى، وعندما كان عمري عشر سنوات التقيت به فأنقذني من حادث سيارة وأخبرني أنه قادم للبحث عن والده وعندما أخبرني اسم والده عرفت أنه أبي، لكن رئيف لم يرد التواصل مع أبي بل أراد رؤيته فقط ليعرف سبب تخليه عنه وعندما أخبرته عن حكايتنا

معه عرف أنه من المستحيل أن يكون أبا أو انسانا، لهذا تخلى عن الفكرة وطلب مني رئيف ألا أخبرك أبدا ولكن من حق رئيف أن يعيش مع إخوته كما أن شاكر وأريج لطالما اعتبروه أخا لهم، اقترب منه اياد وقال: أنا حقا أعتذر عن الكلام الذي قلت له لك سابقا أنا خجل من نفسي، لكن رئيف قال له: لو كنت مكانك لفعلت وقلت أكثر مما فعلت... لهذا لا تقلق، وعانق شاكر وأريج أخوهم رئيف لأول مرة وكذلك تقدم رئيف من سعاد وقال لها لطالما اعتبرتني ابنك شكرا لك فعانقته وقالت نعم أنت إبني.

وإجتمعوا أخيرا في المنزل إضافة إلى الشيخ الذي ساعد كراميل كثيرا وأمل ووالدتها وجميلة وطفلها كان الجو عائلي بشكل لا يوصف ثم قال رئيف بالمناسبة لقد قررنا أنا وأمل الزواج... بارك لهما الجميع وقالت كراميل: أيها الماكران هل وقعتما في الحب وسط كل تلك الظروف؟ لقد فرحت لكما كثيرا.

وهكذا كان حلم كراميل فيه من الواقعية ما يجعلنا نصدق أنه كان رسالة لمساعدة أشخاص تفصلنا عنهم المسافات لكن تقربنا منهم القلوب الطيبة...